بمناسبة اوكازيون المعركة الرئاسية

من ينتخب رئيس جمهورية لبنان

لبنان

فجأة ، ووفق خطة مرسومة فيما يبدو ، انطلقت غالبية الصحف اللبنانية في جولة واحدة ، وانطلقت تهتف كما الدلال المحترف في المزادات العلنية : كرسي رئاسة الجمهورية في لبنان معروضة للبيع ، او للايجار بعقد لاجل مسمى ، او للرهن ، هيا تقدموا ! الاسعار متهاودة جدا ، وشروط الصفقة مغرية ، فلا تدعو الفرصة تفوتكم ، هيا ، على اوانا ، على دومه ، على ثريه .. مين قال انا ؟!

■ بين المانشيت والهامش !

المانشيتات العريضة ، الحمراء والسوداء والزرقاء ، كلها تقريبا انعقدت على زف البشرى الينا . ان معركة رئاسة الجمهورية قد بدات فعلا .... ثم انطلقت تؤكد الكلام بالشواهد : الكتائب نزلت الى الساحة بمواصفات للرئيس العتيد ومقاييس . العميد ريمون اده ، المقيم في الساحة ابدا ، يفسر المادة ٤٩ من الدستور تفسيرا يحظر اعادة انتخاب الرئيس السابق فؤاد شهاب . الرئيس الخالد صبري حماده يحض التفسير الادبي ويكاد يستصرخ الدستور شخصيا ما يفيد بان فؤاد شهاب وحده هو الرجل وهو المطلوب لرئاسة لبنان . كميل شمعون يدرس الموقف ، ويخطف رجله بين الحين والاخر الى لندن لاستكمال الدرس . الشيخ ميشال الخوري معتصم بالصمت . صورة الشيخ فريد الدحداح ، على عامودين .. وصورة الياس سركيس على عامود واحد . رشيد كرامي يطير الى القاهرة ، على غير انتظار ، ويعود منها فيقصد مكة المكرمة لاداء فريضة الحج ، بينما الحجيج راجعون . كمال جنبلاط يتنقل بين بيروت وبغداد ودمشق . ثم يهرب فيقصد لندن وباريس ، تمهيدا لان يسافر حليا بيروت الى القاهرة ...

على الهامش ، وفي زوايا « الاسرار » — وما اكثرها في الصحف اللبنانية — تتناثر اخبار لها صلة حميمة بالمعركة ايضا : نواب اميركيون يتوافدون على بيروت ، وقبل ان يغادرنا النواب يصل بعض الشيوخ ، وبعد هؤلاء مباشرة يصل المستر للكولن ، الصديق والموفد الشخصي للرئيس الاميركي ومستشاره نيكسون ، فيمضي ستين ساعة من المقابلات والباحثات الودية ، بشهادة جميع من شارك فيها ...

على الهامش ايضا تتدرج قصة اقالة العماد اميل بستاني من قيادة الجيش وما سبقها من تحركات ومناورات ، ثم ما اعقبها من التاويل والمناقشات ما زال صداها يرن في الاذان .

■ حقائق « صغيرة » ..

اما صلب الموضوع فيظل خارج نطاق ما تكتبه هذه الصحف ، وان ظهرت فيها بين الحين والاخر اشارات اليه خصوصا حين تحليلها او عرضها لنتائج زيارة هذا المبعوث الاميركي او ذاك .

وما صلب الموضوع ؟

ثمة جملة من « الحقائق الصغيرة » تكاد تختفي تحت ركام الكلام عن المعركة الرئاسية تشكل — في راينا — صلب الموضوع ، وهي التالية :

☐ الحقيقة الاولى — ببساطة شديدة فاننا ، نحن حملة بطاقة الهوية المزدانة برسم الارزة ، اخر من يشارك في اختيار رئيس جمهورية بلدنا الامين الصغير ، لبنان ..

☐ الحقيقة الثانية — ان مجلس النواب القائم بين سوق البازركان وسوق اللحامين ، وغير البعيد عن سوق الذورية واسواق الاحذية والسمك والدجاج والبيض ، ليس هو من يختار الرئيس العتيد ، وان حفظ لاعضائه المائمين ، حتى اليوم ، حقه في تلك العملية الشكلية : وضع اوراق مطبوعة سلفا باسم الرئيس المقرر انتخابه سلفا ، خارج قاعات المجلس وردهاته وكواليسه الخلفية .

☐ الحقيقة الثالثة — ان « الاجهزة النافذة » ، رغم كل ما قيل ويقال فيها ، اعجز من ان تستطيع حسم مثل هذا الموضوع الخطير الذي — للمناسبة — يكشف محدودية نفوذها ، ويفضح طبيعة الدور الذي تمارسه : هي مجرد اداة تنفيذية ، قد يسمح لها احيانا بان تجتهد في التطبيق ، ولكنها لا تعطى مطلقا حق التقرير .

☐ الحقيقة الرابعة — ان القوى والمؤسسات والكتل الاقتصادية التي تبدو ، في الاحوال العادية ، وكانها صاحبة السلطة العليا في البلاد ، باعتبارها الابن الشرعي للنظام وسيفه ودرعه وحافظة لوجوده ، تمارس في هذا الموضوع دورا محدودا من طبيعة استشارية . انها قد تزكي فلانا ، وقد تطعن في فلان ، ولكنها لا تملك ان تقول لواحد من الناس : كن رئيسا فيكون .

ومثل « الاجهزة النافذة » او « القوى الخفية » ، تتكشف طبيعة دور المؤسسات والكتل الاقتصادية من خلال المعركة الرئاسية : انها سمسار لحساب المصالح الاجنبية ، وكل ما تفعله لا يتخطى حدود الدعاية والترويج بالاجر لمرشح معين .. وهي ، كاي سمسار ، تحرص ان تنال العمولة من طرفي الصفقة .

■ من ينتخب الرئيس ؟!

معنى هذا ، بعبارة اخرى ، ان رئيس جمهورية لبنان يختار بعيدا عن ارادة شعب لبنان : فلا هو ينتخب مباشرة كما في الدول الرئاسية ، ولا بطريقة غير مباشرة كما في الدول البرلمانية ، اذا ما تذكرنا ان برلماننا الكريم اعجز من ان يقر مشروع ميزانية ، او مشروع زيادة رواتب ، وانه يغيب غيابا كاملا كلما تطلب الامر منه حضورا مؤثرا (للمناسبة : لم يعقد المجلس النيابي جلسة واحدة بين نيسان وتشرين الاول ١٩٦٩ ، وهي فترة من اعصب ما شهده لبنان في تاريخه الحديث) !

ولا بد من ملاحظة هنا ، وهي انتا نتجاوز قصدا مدى جدارة النواب — هؤلاء او من سبقهم — بتمثيل شعب لبنان بمعزل عن الطرق والاساليب والوسائل التي جعلتهم نوابا ووزراء ، وربما رؤساء من ذوي الالقاب الفخمة .

ولنعود الى صلب الموضوع فنسأل : من ينتخب رئيس جمهورية لبنان ، اذن ؟

قد يكون من الافضل ان نستعرض ، ولو بسرعة ، ملامح المعارك الرئاسية الاربع السابقة وظروفها لعلها تقدم لنا الجواب المطلوب .

من حيث المبدأ فان تاريخ كل من هذه المعارك السابقة يساعد في تحديد القوى



منتصف الطريق

العروبة البريطانية



التسوية العربية - الامريكية

وقف المد العربي

محاولة للمعارك الرئاسية الاربع السابقة على ضوء التاريخ !

١٩٤٣	لالتقاء الاستعمار والحركة الوطنية في منتصف الطريق ... فانتخب بشارة الخوري
١٩٥٢	في ظل النكبة ، وبفضل مسحة من « العروبة » البريطانية ... فاز كميل شمعون
١٩٥٨	تدخل الاميركيون لوقف المد العربي الثوري ... فجاء فؤاد شهاب
١٩٦٤	من اجل تكريس التسوية العربية - الاميركية ... تم اختيار شارل حلو
١٩٧٠	كثير من القوى يحسب حسابها ، ولكن بينها شعب لبنان !

الضحايا من الطامعين في لبنان

■ ١٩٥٢ : سقوط الشاطئة

جرت المعركة الرئاسية الثانية في صيف ١٩٥٢ ، وبعد اضطرار بشارة الخوري الى الاستقالة تحت ضغط النقمة الشعبية العارمة . وكانت النكبة بالعروبة كاملة اعقبت حتى الارصاص الاوزاي التي احتبت النكبة بضياع فلسطين ، وظلال الهزيمة ما تزال تظلل بوحشتها فوق المحيط العربي حتى تناء تحطمه .

في هذا الجو تم اختيار كميل شمعون رئيسا للجمهورية : مسحة ظاهرية من العروبة مكتسبة من صداقته لبريطانيا التي حلت ، على تلك المسحة ، حرصها على القانون بمظهر حادي حتى العروبة والسلام !! ومع العروبة وبعض تراث النضال الاستقلالي .. الم يكن واحدا من الذين احتجزوا بعض الوقت في قلعة راشيا !! ثم مسحة من الوطنية باعتباره احد اركان الحزب الدستوري ، للمرحوم بشارة الخوري ، والذي كان يكتسب صفة الوطنية اللبنانية رائد من رواصها وحماة اصيل منها ، وانضم له استحصن من قبل مشروع الدفاع المشترك ثم حلف بغداد : ثم في الساحة العربية اللذين قاتلوا الحكم وقتلوا العميد حسن احرازه خدمة للمصالح الاجنبية ويسعوا لتعزيز النفوذ الاستعماري ، صاحب الفضل في رئاستهم بل وجودهم ذاته .

■ ١٩٥٨ : لبناني فيلتي ؟!

جاءت المعركة الرئاسية الثالثة ١٩٥٨ قلبة في الوضوح ، وكذا نتائجها .

فحركة التحرر العربية كانت قد فرضت بلوما من تحقيق واحد من اعظم واهم انتصاراتها التاريخية : دولة الوحدة ، بينما رئيسها اللبناني قد حال بين شمعون وبين التجديد له وارتباطاته وصداقاته المعروفة .

من جهة اخرى كانت قضية زعامة العرب قد حسمت قبل فترة وجيزة في اعقاب فشل العدوان الثلاثي على مصر ، ووراثة الولايات المتحدة الاميركية زعامة العالم الحر ، ونزلت الى الميدان بثقلها ، لتقتسم بالارث البريطاني — الفرنسي ، ثم تحصلها هي ، الى حول الارض واطرافها .

.. ولدت تسوية « اصالة اللبنانية » سريعا : فلبنان لكم ايها العرب النصف ، ولبنان لواشنطن — ممثلة للغرب كله — النصف الاخر ..

وبدا جاود المارينز الاميركيون في الانسحاب ، والعودة الى سفن اسطولهم السادس الراسية في المياه اللبنانية ، بينما المستر مورفي يكمل صياغة المشروع الجديد للتسوية .

وهكذا كان عهد فؤاد شهاب نسخا في كل مواقفه الاساسية ، وبالتحديد لمعنى العروبة ، فهو يصوت مع الجمهورية العربية المتحدة في الامم المتحدة وفي الجامعة العربية وفي سائر المحافل الدولية ، ولكنه في الداخل يوظف العروبة لحسابه : هو مع العروبة خارج حدود لبنان ، وعلى العروبة — ممثلة بالشارع الوطني — ان تكون معه داخل لبنان .

وعروبة الخارج مسلك سياسي اني ، يزول باختلال ميزان القوى التي فرضتها . اما عروبة الداخل فهي مقياس الوطنية الحقة ، والتضحية الحقة ، والاخلاص المطلق لحركة النضال العربي .

ومع سقوط دولة الوحدة تحولت عروبة الخارج الى مظهر شكلي ، مع حرص دائم على ارضاء القاهرة بالكلمات وعدم استفزازها ، لذا ان جيجيي اسسار

البقية على الصفحة ٢٣

توفرهما يظل لبنان الشبه بكاية تسرح فيها وتجول الاقطاع السياسي المتحالف مع راس المال .. وماذا يمكن ان ينتج مثل هذا التحالف غير الخائفة والمحسوبية والانتهاز والعشائرية والصفقات والاثراء غير المشروع ، ومجتمع « المئة اسرة » الذهبية ؟

☐ ثالثا — العدالة الاجتماعية ، حتى لا نقول الاشتراكية ، وكيف يمكن ان تتوفر مثل هذه العدالة في بلد ما زال يعيش — مثلها — حيش المستعمرات : كالمستعمر المحتل فيه ، او معظمها ، بيد الاجانب او في خدمتهم (المصارف ، المصانع الثقيلة الموجودة ، المؤسسات المالية والعقارية وحتى شركات التلفزيون والصحف الخ) ..

معنى هذا ان انتخاب بشارة الخوري كان في ظاهره نصرا للحركة الوطنية ، بينما هو — ومن خلال النتائج — تكريس للنفوذ الاستعماري (البريطاني والفرنسي) في لبنان .

كانت العروبة ، اذاك ، تعني توثيق الارتباط بسوريا ، والحركة الوطنية فيها .

والنتيجة ان عهد بشارة الخوري انتهى بالقطيعة الشهيرة . واذا كان من الظلم تحميل عهده المسؤولية كلها ، فان من الظلم للحقيقة تبرئته منها .. دون ان ننسى ان الحاكمين في سوريا ، يومئذ ، لم يكونوا اكثر وحدوية ولا اكثر ايمانا بالشعب ولا اكثر اخلاصا

حزب الحركة الوطنية اللبنانية الرسمي « الاستقلال » .

على ان الامر لم يطل حتى انكشف كميل شمعون ، وسقطت عنه كل اثواب التنكر التي كان يرتديها : فاذا « عروبته » تعادي حركة النضال العربي ، وتقاتلها اذا لزم الامر .. واذا « استقلاليته » لا تمنعه من القبول بمشروع الدفاع المشترك ، وقتل المناضلين الذين عبروا — باسم شعب لبنان وارادته الحرة — يعترضون على قبوله وبرفضونه .. واذا « وطنيته » لا تردعه عن التسبب في مذبحة كانت تودي بلبنان كله من اجل ان يتسنى له ان يجدد .

وسقط شمعون .

اسقطته حركة النضال العربي والحركة

تتمة

من ينتخب رئيس جمهورية لبنان؟

القاهرة ولاءهم للعروبة الى ولاء للنظام في لبنان ، وهو بطبيعته ذاتها عدو مبين للعروبة وللوطنية وللتقدمية في لبنان وفي ديار العرب كما في اربع رياح الارض!

■ ١٩٦٤ : ما بعد شهاب ··

في الاقوال الشائعة ان ثلاث قوى خارجية تتحكم باختيار الرئيس اللبناني هي : النفوذ السياسي الاميركي ، والنفوذ المعنوي للفاتيكان ، والنفوذ السياسي والادبي للقاهرة ، طالما استمرت عاصمة العر ب، وحتى لو لم تكن عاصمة دولتهم الواحدة ·

ولعل نتائج المعركة الرئاسية الرابعة ـ ١٩٦٤ ـ هي التي اعطت هذه الاقوال سمة الصحة ·

فلقد كانت الكلمة الاولى في اختيار الرئيس شارل حلو للرئيس السابق فؤاد شهاب ، خلاصة تسوية ١٩٥٨ (الاميركية ـ الغربية) وممثلها ·· وكان في طليعة مؤهلات رئيس المجلس الوطني للسياحة (آنذاك) انه يحظى بعطف خاص من الفاتيكان ·

على ان دور الفاتيكان السياسي يتضاءل تدريجيا ، بمقدار ما تتضاءل المسافة الفاصلة بينه وبين واشنطن ، زعيمة العالم الحر وقائدته ·

في حين ان فرنسا اخذت تعود الى الساحة اللبنانية كقوة مستقلة من خلال اتساع المسافة الفاصلة ـ سياسيا ـ بين باريس وواشنطن ، والتي يبدو ان خروج ديغول من قصر الاليزيه لم يكن كافيا لالغائها ·

ولا شك ان الرئيس شارل حلو ، الذي يدين بالكثير لميشال شيحا ولبشارة الخوري وللمدرسة السياسية التي كان يمثلها الحزب الدستوري ، صاحب مكانةخاصة ـ بين السياسيين اللبنانيين ـ لدى فرنسا ، خاصة الديغولية ·

اما «العروبة» في عهده فكانت ارثا شهابيا : مسلك سياسي في الخارج ، مع استخدام اوسع لرصيدها في الداخل لحساب النظام ومنفعته ·

واذا كان فؤاد شهاب قد نجح ، مستندا الى تسوية ١٩٥٨ ، في تصوير العروبة في لبنان وكأنها «حزب ناصري» ، بدل ان تكون ـ كما هي فعلا ، وكما ستبقى ـ تيارا تاريخيا يؤكد وحدة الانتماء ووحدة الهوية ووحدة المصير ، فان شارل حلو قد نجح ـ مستندا الى ما اصاب حركة الثورة العربية من ضعف في السنوات القليلة السابقة على ٥ حزيران ـ في تصوير ذلك « الحزب الناصري » وكأنه واحد من احزام النظام الوديعة ، بل واحد من فرقة الصدامية في بعض الحالات!

***

■ « الحق » المسلم به !

هل عثرنا على صلب الموضوع ؟